الفصل الثاني

١- عمل المرأة ليس(صرمحة شوارع)

سؤال يطرح نفسه عند الكثيرين هل عمل المرأة ضرورة حتمية أم مجرد تسلية أو صرمحة شوارع , والرد بكل سهولة هو عند البعض ضرورة حتمية وذلك لمن تعول أبنائها إذا كانت مطلقة أو أرملة أو حتى متزوجة و زوجها مريض فبدورها كراعية لتلك الأسرة وحرصها على المرور بهم إلى بر الأمان فى وسط الزحام وأيضا وسط المغريات المادية حولها كان ولابد لها أن تعمل كى تحمى أسرتها من هذا التيار الجارف ،،

وأيضا يوجد الكثير من الفتايات يعملن من أجل توفير المال فى تجهيز بيت الزوجية وشراء ما يلزمها فى بيتها وهناك نساء تعمل من أجل تحقق الذات ولا أرى أى مانع فى ذلك فهى تعلمت وسهرت الليالى الطوال وتعبت مثلما فعل الرجال بل فى كثيرا من الأحيان تتفوق عليهم ولهذا هى تستحق أن تتقلد المناصب مثلهم ولا ضير فى ذلك ومن الواجب علي المجتمع أن يعترف بأن للمرأة طموح كما للرجل طموح سواء كان سياسي أم اقتصادي أم علمي أم أيديولوجي الذى أصبح يتفوق في هذا الزمن الصعب على طموح الرجل بالإضافة لتفوقها العاطفي وحسن تصرفها.

والأهم من ذلك أن المرأة لا تعشق الفساد مثل ما للرجل فى مجال السياسة على وجه الخصوص ,وللمرأة حس عالى فى الجمال وأيضاً النظافة كى تربى أجيال وتتحمل أعباء منزلية ومادية في هذا العصر المرير القاسي فقد قال الشاعر نزار قباني أن الأنثى حضارة وأنا أقول أنها تتفوق في حضارتها وتقدمها وانتمائها على الرجل بآلاف السنوات الضوئية.

فاذا منحت المرأة القوة والحب و الثقة، ستمنحكم وطناً بحجم الإخلاص، و

فرحاً بنكهة الأمل و عافية بطعم الرحمة والأمان.
إلا أن الكثيرين حتى المستنيرين ما زالوا يرفضون هذه المساواة ويطلقون على عمل المرأة صرمحة ,ولنقرأ ما كتبه د. مصطفى محمود في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٨ حيث قال نسمع هذه الأيام صيحات التمرد التي يطلقها نصفنا الآخر اللطيف , وأكثرهن زوجات لرجال أثرياء يطالبن بالخروج من البيت للعمل ويلقين بأولادهن إلى الشارع , وتصرخ الواحدة في وجه زوجها بأنها تريد أن تحقق ذاتها وأن رأسها برأسه سواء بسواء , يحيرني هذا المنطق فأي تحقق للذات , تريد أن تصبح هذه المرأة أو تلك سكرتيرة لفلان أو مهندسة للمجاري أو صرافة في بنك أو بائعة في سوبر ماركت , إن تحقيق الذات هو كلام روايات وطلب للتغيير والصرمحة!!. (٥)
هذا هو أبسط شئ يتهم فيه عالم مثل الدكتور مصطفى محمود بأن عمل المرأة نوع من الصرمحة , والادهى والأمر فى هذا الاتهام هنا ليس شئ خاص بل صدر من عالم يسمع له وليس مجرد حديث خاص, ونشرت فى صرح إعلامى أيضا , وليس مجرد فكرة ولكن شئ مخلد منذ سنوات,ولكن كل هذه المفاهيم تحمل فى طياتها مفاهيم خاطئة وغير متحضرة وتتنافى مع القيم الدينية وأيضا القيم الإنسانية, والمصيبة فى ذلك أن المرأة تردد هذا الكلام تحت الضغوط الشديدة والحياة القاسية التى قد توفر لها عمل على هامش الحياة, وأخذ الرجل يلعب على هذا الوتر الحساس بأن المرأة هى الدرة المصونة والجوهرة المكنونة , وخلق له جو من الوهم المختلق والتي لا يجب عليها أن تتبهدل في العمل, وهو في الحقيقة لا يريد منها إلا أن تتحول إلى عروسة من المريونت أو الدمية يحركها كيف يشاء ,وبهذه المغالطات تدفن المرأة فى قبر وهى مازالت على قيد الحياة ولكن علينا أن نرد على كل هذا فى نقاط محدودة إلا وهى .
من يستطع منا أن يثبت أو بالضرورة على كل امرأة عاملة أن تلقى بأبنائها فى الشارع ودائما ما نسمع من وسائل الاعلام عن الادمان والتربية السيئة هى نتاج عمل المرأة وضرب المثل بأمهات الزمن الماضى والتزامهن فى بيوتهن وآخراج

جيل صالح إلى نهاية هذا الكلام المعروف لنا جميعا ولا ننكر ذلك الفضل لهم ولكن ليس بالضرورة أن تكون المرأة العاملة أماً فاشلة بالعكس هناك الكثير من الأمهات العاملات أبنائهن أكثر تفوقا والنماذج أقل أن تحصى ،وجعلنا منهم علامات بارزة في المجتمع سوى على المستوى الأخلاقى أو المهنى..والمجتمع خير شاهد لتلك الأمهات فى تحقيق غايتهن وهدفهن التربوي.

وهناك من يقول على المرأة أن تكتفى بالتعليم فقط وهذا يعد مصادرة على حقهن وأحلامهن المشروعة , فالعمل جزء مكمل لفرصة التعليم والأفضل لنا بدل تجنيب المرأة بهدلة العمل هو منع البهدلة وليس منع العمل بمعنى جعل مكان العمل أكثر راحة للطرفين سوى المرأة أو الرجل وكيف لنا أن نقطع ما هو متواصل ،، فالعمل جزء مكمل كما ذكرنا سابقا , فالتعليم عملية ديناميكية مستمرة طوال العمر وليس مجرد عدد من السنين أو مراحل دراسية معينة تقضيها المرأة بين جدران مدرسة أو معهد أو جامعة.

الإتهام الموجه دائما الى المرأة بأنها السبب الرئيسى للبطالة وشعار مش لما الرجالة تشتغل نبق نشغلكم ,وأسباب البطالة بعيدة كل البعد عن ذلك حتى وإن كان المجتمع كله من الرجال سوف يكون هناك بطالة أيضا وليس عمل المرأة هو السبب كما يدعى الآخرون ذلك وعلينا مواجهة أنفسنا وعدم لوم أو توجيه أى اتهام للمرأة وجعلها شماعة نعلق عليها كل أخطائنا الإجتماعية والإقتصادية بل والعاطفية أيضا ..

اللغة الساخرة وقد ذكرنا هذا سلفا وهى لهجة التدمير المغلفة بالمزاح اللاذع ,وبعض الكلمات الطائشة التى تطلق من الألسنة كسهام مصوبة على عقل المرأة مثل آخرتك ايه مهندسة ولا بياعة فى محل وجعل أى عمل تعمله المرأة شئ حقير وضئيل فى الوقت نفسه وهذا ليس تصغير من شأن المرأة ولكن الهدف هو تحريك المرأة كيفما نشاء وقتما نشاء عندما نشاء كدمية وهى عليها أن تستجب لتحريكنا المزعوم ،،وليس عليها أن تختار كعضو مشارك فى لعبة الحياة .

لم ينتهى الكلام بعد فمازال الصراع قائم بين من يرفض عمل المرأة وبين من يدافع عنه وأنا فى نظرى الشخصى أرى أن عمل المرأة شئ هام وضرورى جدا فى حياتها ومكمل لما بدأته فى الصغر من الحضانة إلى الجامعة ومازال الحبل متصل ببعضه البعض ولن ينقطع أبدا ،، إذا هى جمعت بين مقومات الحياة والتوفيق الأسرى وأنا على يقين تماما بأن المرأة تستطيع أن تصنع المعجزات ولم ينجح الكثير من الرجال إلا بامرأة تشد من أزره ولكن على المجتمع ككل والدولة بشكل خاص توفير سبل الراحة والخدمات وقد يكون هذا الأمر من أهم أسباب نجاح عمل المرأة وتفوقها أيضاً إذا ما توفرت لها الخدمات وتغيرت المفاهيم من ناحيتها بخصوص هذا الشأن والتعامل معها على أنها كائن كامل .

obeikan.com

٢- لحمنا مش رخيص

ظاهرة اجتماعية أخرى انتشرت وبشكل ملفت للنظر فى قرى مصر وهى زواج الفتيات فى سن صغير , وهى أشبه بالتجارة كما لو كنا عدنا بالزمان للوراء عدنا آلاف السنين وبيع الرقاق والجوارى ولكن للأسف الشديد من يتاجر الآن بالنساء هم الأباء أنفسهم وهذا أدهى وأمر من ذى قبل وهذا يعد تجارة بجسد البنت والأباء تسترزق وهذا يعد بغاء على ورقة زواج, إذا كان الغرض منه ماديا, وهناك من يستغل زواج النبي – صلى الله عليه وسلم- من السيدة عائشة –رضي الله عنها- ليصدر فتواه, مؤكدة بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم- لم يتزوج من السيدة عائشة –رضي الله عنها- إلا بعد سن البلوغ, وواجب على القانون عدم تقبل زواج الفتاه فى سن صغير والشرع معنا فى ذلك أيضا ومن يقول غير ذلك فهو غير فقيه بأمور الدين ولا يمت الأمر للدين ولا للأخلاق بأى صلة إلينا تصور كامل لما يحدث عندما يدور هذا الأمر ويبدأ .

ملخص المشهد اغتصاب مقنع ومقنن بورقة عليها شهود , اغتصاب ليس في السر وإنما هو في العلن يقام له احتفال ويوزع فيه الشربات ويدعى له المعازيم الذين يجلسون ليمارسوا النميمة ويملأون بطونهم بكل سرور وراحة ضمير ,إنها جريمة يشارك فيها مأذون مأجور وطبيب باع ضميره وكتب شهادة تسنين مزورة وأب عرض طفلته في مزاد ألا أونه ألا دو ألا ترى ومين يزوود وعريس مفجوع لا يريد زوجة وإنما يريد وعاء لتفريغ كبته وشهواته , والضحية زهرة بريئة بنت امبارح , كانت أمس تلعب في الطين وتجرى وراء صاحباتها وتبكي حين تنام في الظلام , ولإقناعها يكفيها قطعة عسلية , وفجأة بين عشية وضحاها يطلب المجتمع منها أن تترك ساحة اللعب كطفلة للتمدد في سرير نوم متر في متر تحت جثة من اللحم والشحم والعرق لشبه إنسان يؤدي غرضه في ثوانٍ ثم ينام ليغطي صوت شخيره على صوت دموعها , , والمدهش أن الأهل يأتون ليلة الدخلة لتهنئتها مطالبين إياها عدم الشكوى لأن الزواج سترة وهي مجرد

فتاة (جيشاً) تدلع وتدلك وتدغدغ وتزغزغ , والزوج إمبراطور ياباني آمر ناهي , وعليها السمع والطاعة !!.

العروسة فين ؟

بتلعب بره في الحارة .. أو في الجرن .. أو في الشارع!!

بالطبع علامات التعجب السابقة التي وضعتها بعد جملتين الحوار من عندي ,لأن الكارثة أن هؤلاء النخاسين الجدد المتاجرين بلحم وروح وأعراض أطفالهم, لم يضعوا أي علامة تعجب ولم يرمش لهم جفن ولم تهتز لهم خلجة وهم يمارسون هذه الجريمة البشعة التي تعد من أخطر صور العنف في بلادنا ضد المرأة أو بالأصح ضد الطفلة الأنثى , عنف يومي متكرر طرفاه جلاد وضحية أما القاضي فغائب عن ساحة المحكمة , تبكي الطفلة فلا يسمع لها أحد ,تصرخ فينهرونها , تشكو فيقال لها إنتي مازلتي عيلة ما تفهميش حاجة ,اشمعنى هنا ودلوقتي عيله وحين تزوجت كانت آنسة حلوة خرطها خراط البنات وجسمها فاير ولازم تتلم !!, وبعد الزواج بواحد لم تختره من الأصل عليها تلبية مطالبه بداية من الأكل وليس انتهاء بالجنس , وتلبية مطالب العيال والقيام بالأعمال المنزلية من طبخ وكنس .. إلخ , مما يتعارض مع تكوينها الجسدي والنفسي, والأرقام على عكس ما نتصور مخيفة ومرعبة ففي دراسة ميدانية حديثة أجريت في إحدى قرى الجيزة وجد أن ٤٥,٨٪ من إجمالي العينة قد تزوجن في سن أقل من ١٦ سنة , وأن نسبة الإناث اللاتي تزوجن في سن العشرين قد بلغ ٨٧,٩٪ وذلك بحجة صيانة عفاف البنات , والحفاظ على شرفهن والخوف عليهن من العنوسة, أو للتخلص من عبء إعالتهن , خاصة إذا كان العدد كبيراً, أو للإستفادة من مهورهن أو للرغبة في إكثار العزوة , أو لتقليص الفارق العمري بين الآباء والأبناء , أو مجرد إثبات سطوة الآباء على البنات ليس إلا .. إلخ وتشير دراسة أخرى للدكتورة علياء شكري إلى أن ٣٦٪ من زيجات الريف تقع في سن يقل عن ١٦ سنة , كما بينت دراسة د . إقبال السمالوطي ٢٠٠٠ أن هناك ما بين ١٥ إلى ٢٠ ٪ من مجموع مواليد الوطن العربي تلدهن أمهاتهن

وهن في سن المراهقة , وهذا يدق ناقوس الخطر بقوة محذراً من المخاطر الرهيبة التي تنشب أنيابها في الطفلة التي يوقعها حظها العاثر في فخ الزواج المبكر.

أولى المخاطر هي المخاطر الصحية كتسمم الحمل , وفقر الدم , وصعوبة الولادة, والإجهاض, وبالطبع يساهم صغر السن في فتح شهية الزوج للإنجاب المتكرر دون فاصل زمني معقول بين الولادة والأخرى مما يعرضها للإنهاك البدني ويعرض أطفالها للأنيميا والجفاف وانخفاض الوزن والمناعة , ولهذا تكون معدلات وفيات الأمهات والرضع والأطفال دون الخامسة أعلى في المناطق التي تنتشر فيها ظاهرة الزواج المبكر , وتبين الدراسات أن احتمالات الوفيات في الفتيات من عمر ١٠ – ١٤ سنة بسبب الحمل والولادة تزيد خمسة أضعاف عن وفاة النساء في سن ٢٠ – ٤٥ سنة , وأن عسر الولادة أكثر شيوعاً بين الفتيات المراهقات , وأيضاً ترفع الدراسات الميدانية للباحثين مثل مركز النديم ود. إقبال السمالوطي ود. رفيقة حمود وغيرهم الستار عن أرقام ونتائج مرعبة لظاهرة الزواج المبكر , فهذا النوع من الزواج يحرمهن من فرص التعليم ٤٧,٣٪ من فتيات عينة بحث ريف الجيزة قد توقفن عن متابعة التعليم بسبب الزواج المبكر, وليس الصحة والتعليم فقط هما الخسارة الوحيدة ولكنها تخسر نفسها ومعنوياتها من الإحباط والقلق نتيجة لعدم قدرتها على القيام بالتزاماتها وأعبائها والتناقض النفسي نتيجة عدم الإشباع العاطفي الذي لم ينضج بعد خاصة إذا كان الزوج أكبر منها بعشرات السنين , فقد أظهرت إحدى دراسات وزارة التامينات والشئون الاجتماعية أن الفارق في السن بين معظم الفتيات اللاتي تزوجن مبكراً وبين أزواجهن كان كبيراً , وعلى سبيل المثال كانت نسبة الفتيات اللاتي تزوجن من أزواج يكبرونهن بعشرين سنة وأكثر ٦٥,٧٪ مما يؤدي لافتقاد الهارموني والإنسجام ويصبح الزواج كقطعة موسيقى نشاز تعزف فيها الطبلة مكان الكمان والصاجات مكان الناي !!, وتنتهي معظم هذه العلاقات إما بالصمت المتواطئ وإما بالطلاق الصارخ المدوي , فقد تبين أن نسبة

المطلقات بين المتزوجات من سن ١٢-١٨ سنة بلغت ٤٩٪ من حالات الطلاق.

أبويا عامل تراحيل وأنا وافقت علشان أساعد أبويا.. السمسار أعطي أبويا ٣ آلاف جنيه وأخد هو ١٠ آلاف, وسافرت مع الراجل العجوز بلده وهناك اتغيرت معاملته وعاملني زي الخدامة ,حتى أولاده مارحمونيش وشاركو أبوهم في لحمي , وبعد خمس شهور طلقني ورجعت على بيت أبويا!!

هذه العبارات السابقة ليست من فيلم مقاولات رخيص ولكنها منقولة بالضبط من على لسان طفلة من البدرشين كانت جريدة الأهالي قد أجرت معها حواراً لرصد ظاهرة بيع المراهقات وتصدير القاصرات للخليج ,وهي ظاهرة وتجارة تكاد تتخصص فيها قرى بعينها معروفة للمسئولين قبل الوسطاء,تجارة يعمل فيها الأب سمساراً في جسد ابنته والأم دلالة تبيع البنت مقابل برميل من النفط ,لا أستطيع أن أطلق عليها وصفاً سوى أنها دعارة أسوأ من دعارة بيوت الهوى , فالعقود العرفية لا يتم توثيقها , والزوج بالكاد جد مكحكح والتسعيرة يضعها السمسار حسب السن ودرجة الجمال والدلع والأهم حسب المستوي الاقتصادي للأسرة وبالطبع ينتهي هذا الزواج المأساوي بمشاكل لا حصر لها , من ضمنها جنسية الأطفال الذين في الغالب يتركهم الأب العجوز ويغادر البلاد بعد رحلة الترفيه , أو يبعثهم مع الأم التي ملها وعافها لأرض الوطن , فهم لا يمكن طبقاً للقانون المصري أن يحملوا جنسية الأم , وبالتالي ليس لهم الحق في التعليم المجاني أو الرعاية الصحية أو العمل في القطاع الحكومي .. إلخ , وهو في الأصل فقير ابن فقيرة يتعامل معه المجتمع كأجنبي أسوأ حالاً من اللقيط , وتطبق عليه حلقة الفقر والضنك ويصبح أمام أحد الاختيارين أن يتسول أو أن يسرق ,لماذا تحدث تلك المتاهة منذ البداية ؟, الجواب لأن هذه الزيجات عرفية لأن قوانين بلاد الزوج تنظم زواج رعاياها من الأجنبيات , ولا تعطي الزوجة الأجنبية أية حقوق إذا لم تلتزم بشروط الزواج من أجنبية ,وبالتالي فهي لا تستطيع الحصول على الطلاق بسهول إذا اختفى الزوج , وأيضاً هي لا تستطيع

اللحاق به في بلده لأنها ممنوعة بحكم قانون بلده من الدخول , بل الأنكى والأخطر أنها لا تستطيع مقاضاته هناك لتطلب حقوق أولادها منه , والمأساة ليست بسيطة أو مجرد ترف , ولكنها مأساة بمعنى الكلمة. (٦)

وما زال إلى الآن هذا المشهد يتكرر يوم بعد يوم برغم كل ما تتعرض له الأنثى من أمراض جسدية ونفسية ونجد من يخرج علينا ببعض الفتوى لتزويج الفتاة فى سن صغير كما شرحنا سابقا وأخذ جزء من أفعال النبى صلى الله علية وسلم زريعة لذلك وللأسف من أن هؤلاء لا يفقهون الواقع، ولا النصوص الشرعية التي ترفض الإضرار بالبشر وبمصلحتهم (لاضرر ولا ضرار) وهى تختلف من زمان الى آخر، ومن مكان الى آخر. و الإسلام لم يحدد سناً للزواج، وعلينا العمل لما فيه مصلحة المرأة ، من استكمال تعليمها ونضج أعضائها، واكتمال بنائها الجسدي، مما يكون له آثاره الإيجابية عليها، وعلى أسرتها ومجتمعها. ونحن نعلم أن الإسلام دين يحترم العقل والحكمة، فهل من العقل والحكمة في زماننا أن نزوج البنت وهي في التاسعة من عمرها، أي أنها في الصف الثالث الابتدائي؟ فماذا تعرف هذه عن الزواج الذي جعله الله آية من آياته ؟ ولكن بعد كل هذا هناك من يحتال على الأمر بأن يكتب ورقة عرفى لعدم بلوغ سن الفتاة وعند البلوغ يتم توثيق الزواج بشكل قانونى الآن الأصل فى هذه الزيجة هو التجارة والإحيتال لا تأسيس منزل وأسرة تنفع نفسها وغيرها فى نطاق المجتمع وقد رأينا ما يحدث للفتيات إما المرض النفسى أو الجسدى أو الطلاق وتشتت الأبناء وبالأحرى ضياعهم فى المجتمع وماذا يصنع وقتها وهو ابن غلطة أباء لا يرحمون وتجار مستفيدون وطفلة لا تعى شيئا فى دنيا المفسدون .

إن ليلة زفاف طفلة هي ليلة زفاف دامية طقوسها مرعبة وتفاصيلها هي جريمة قتل مكتملة الأركان , فمن يمنع تلك الجريمة التي يقتل فيها الجهل والفقر والتخلف بخنجر مسموم روح زهرة ياسمين كانت تتوق للتفتح , إنه الخريف عندما يفرض شروطه على الربيع فينتصر الذبول على التفتح , والموت على الحياة , والتجاعيد على النضارة , إنه الكبر قبل الأو ان والغروب في ساعة الفجر.

٣-نظريات العنف ضد المرأة والطفل

أولاً : نظرية البيئة والضغوط :

وهذه النظرية ترى أن الضغوط البيئية المختلفة سواء كانت زحاماً أو ضوضاء أو تلوث أو خلاف من ضغوط البيئة تؤثر إذا زادت عن الحد وقدرة التحمل فسوف تؤدي إلى انفجار الإنسان وقيامه بأعمال العنف , فمثلاً ساكن العشوائيات الذي يعاني من الازدحام وسوء حالة المسكن ونقص الخصوصية وانعدام المرافق والخدمات بالطبع سيمارس العنف ومن والطبيعي أن يمارسه ضد الضعفاء وفي مقدمتهم النساء والأطفال , وهذه نظرية في مجملها سليمة ولكني لا أقبلها على إطلاقها فنحن نرى أن العنف صار يستشرى حتى في أكثر الطبقات ثراء وتعليماً , مما يدل على أن تيار العنف ضد المرأة صار تياراً فكرياً مقبولاً إلى حد ما وله مبرراته التي يقدمها البعض على أنها من العرف أو من التقاليد أو من الأخلاق أو من الدين وهذا مكمن الخطر.

ثانياً: نظرية الموارد الاجتماعية :

ترى هذه النظرية أن الصراع بين البشر يزداد مع زيادة عدد السكان بمعدل أكبر من عدل تزايد الموارد البيئية , ومن هنا يتم الصراع والتنافس على هذه الموارد المحدودة ويتولد العنف , وحيث إن رقعة مصر الزراعية في حدود ٦ مليون فدان ثابتة لا تتزعزع في نفس الوقت الذي يتضاعف فيه عدد السكان بشكل سرطاني مما يساعد على ازدياد ظاهرة العنف وخاصة نحو الأضعف كما ذكرنا المرأة والطفل .

ثالثاً : نظرية نقص الحاجة :

البيئة التي لا تشبع حاجات أبنائها تدفعهم دفعاً نحو العنف , هذا هو ملخص تلك النظرية الصحيحة إلى حد كبير ,فيكفي أن ننظر إلى حرمان الصعيد من الخدمات والاستثمارات مقارنة بالوجه البحري
وانعكاس ذلك على نسبة العنف وانتشاره.

رابعاً : نظرية التحطيم والاحباط :

البيئة المحبطة بيئة تفرخ العنف , فالفرد الذي لا ينجح في تحقيق ذاته من خلال عمل أو أسرة هو صيد سهل لممارسة العنف.

خامساً : نظرية التهميش:

هذه النظرية ترى أن من هم على هامش المجتمع والمهملين من قبل الدولة أكثر المواطنين ممارسة للعنف , فالتجاهل هو مشتل العنف ومنبع الانتقام , وبالطبع يمارس الهامشي عنفه ويخرج عقده على من هم أكثر هامشية المرأة والطفل.

سادساً : نظرية العلم والتعليم :

العنف سلوك مكتسب من الممكن تعلمه من البيئة المحيطة أو من على الشاشة ..إلخ , وهذا يلقي باللوم على وسائل التعليم والإعلام في تقديم العنف كسلوك مقبول أو على الأقل متعود عليه.

obeikan.com

هذه النظريات من الممكن أن تفسر لنا وتجيب على سؤال لماذا العنف ضد المرأة ؟, ولكنها لا تستطيع الإجابة على سؤال لماذا التمييز ضدها ؟

ذلك التمييز الذي يبدأ كما ذكرنا من قبل الولادة أثناء الاستعداد الذي تختلف مفرداته بالنسبة للولد عنه بالنسبة للبنت ,وبعدها يبدأ الأهل بالتعامل بشكل مختلف مع كل منهما على حدة وتنتقل خبرات حياتية مختلفة تجعل الاستجابات مختلفة هي الأخرى , فالبنت لها العروسة وأدوات المطبخ اللعبة, والولد له ألعاب الذكاء والمهارة والفك والتركيب والمسدسات , وبعدها تأتي المدرسة لترسيخ قيمة التفوق الذكوري ,وتؤكد على هذا المفهوم الدكتور رفيقة حمود التي تقول تخضع الفتاة منذ طفولتها لتربية صارمة تتطلب منها الطباع اللينة , والنعومة في الكلام وانخفاض الصوت عند الضحك , في حين تترك للصبي حرية الكلام والقهقهة والتصرف , ويدرب الصبي ليكون شجاعاً قوياً لا يبكي , وتوجه البنت لتكون سلبية متقبلة ضعيفة , وقد بينت الدراسات على سبيل المثال أن الأهل يحاولون استثارة نشاط الصبي وعدوانيته , ويسخرون منه إذا بكى أو خاف , ويتسامحون معه إذا تسلق الأشجار والجدران , في حين يرفضون أن تكون البنت كثيرة الحركة ومتمتعة بالحيوية والاستقلالية , ويؤنبونها على كثير من التصرفات التي يتسامحون فيها مع الصبي ويحاولون تعديل سلوكها, ويشجعونها لتكون هادئة ومطيعة , وبالإضافة إلى ما سبق يفرض على الفتاة طابع من السرية والتكتم فهي الستر الذي لا بد له من غطاء ,ودلالها وتدليلها خطأ وفضيحة دلل الحية ولا تدلل البنية !!,

ويتم تدريب البنت بكل إصرار على خدمة ذكور الأسرة بما فيهم أخواتها الأصغر منها , وبالطبع يكون هذا مقدمة لتدريبها على دور الزوجة المطيعة التي لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم إلا عندما يسمح لها , وكما يقول المثل العربي تلاته بيطولوا العمر: الدار الوسيعة ,والفرس السريعة ,والمرأة المطيعة , وأيضاً يشمل هذا التدريب المبكر للطفلة على دورها المستقبلي إجبارها على ترك اللعب بل والدراسة في (بعض الأحيان وذلك للتفرغ لمساعدة الأم في الأعمال المنزلية

, في حين يحصل الولد على وقت أكبر للتركيز واللعب وينطلق خارج المنزل إلى العالم الخارجي الذي ينمي قدراته , والمدهش أن التمييز يمتد إلى طريقة العقاب , تقول الباحثة اميرة بهي الدين (عندما تعاقب الأسرة صغارها تميز في ذلك بين الصغير والصغيرة , سواء من حيث سبب العقاب , أو من حيث جسامة العقاب وتكراره , فالصغير تلازم أمها في المنزل فتفجر الأم فيها كل إرهاقها وألامها الدفينة بسبب مشاكلها الأسرية الخاصة , بخلاف الصبي الذي يكون خارج المنزل يدرس أو يلهو أو يعمل , فالأم لا تقسو على ابنها الذكر سواء لإعجابها الدفين برجولته المبكرة , أو لأنها تخشى فراره منها إن هي قست عليه , في حين تتوقع من الفتاة الطاعة والتفاني وإنكار الذات , إنه العنف المنظم المعوق للفتيات القاتل لاستقلاليتهن والمهدر لطاقتهن الإبداعية , ثم تأتي وسائل الإعلام التي تقدمها على أنها مخلوق هيمان في عالم الأحلام , وشخصية سلبية مترددة تفتقد إلى أدنى درجات التفكير العقلاني لا هم لها إلا البحث عن الرجل وضله لإمتاعه الجنسي وتمثيلية الحاج متولي ليست بالبعيدة عنا.

وهكذا يزيد إيقاع التعامل معها كدمية وموديل ومادة للمتعة , وتركس الدونية التي هي الباب السحري لولوج التمييز المؤدي إلى العنف. « ٧ »

وبعد كل هذا الصراع المرير نجد أنفسنا أمام الكثير من القضايا التى تساعد على انتشار العنف بشكل عام وانتشاره بشكل خاص مع المرأة سوى زوجة أو أخت أو أم أو حتى ابنة ونحن نعمل على تغير تلك النظرة وجعلها الأخت والحبيبة والصاحبة والأم والصديقة والابنة بكل ما تحمل هذا الكلمات من معانى رقيقة حساسة وجذابة في الوقت نفسه .فالمرأة هي ملح الطعام الذى بدونه لا يوجد أى مذق لهذا الطعام هى الوعاء الذى يحتوى الجميع هى نبع الحياة الذي يروى الجميع كي يثمر وينتج في ظلها .